

النزاع العربي الإسرائيلي كما يتجلى في الأدب القصصي العربي

رحمة عيسى الناعوري

للتعليم ، ويعملون - أو هم ضليون - في هذا النوع من البحث التخصصي كليا ، واللازم لكتابة رسالة للدكتوراه في الآداب ، أو لغيره من أنواع البحث الأخرى . وثالثا ، البحث في مشكلة النزاع العربي - الإسرائيلي مفامرة سياسية حساسة ، بالنسبة الى الدول العربية وغيرها من الشعوب . وهذا يصح بصورة خاصة بالنسبة الى الباحث الأميركي الذي يقوم بإجراء بحثه في الاقطار العربية ، وقد يكون صحيحا كذلك بالنسبة الى اباحث العربي ، نظرا الى نظام الحكم في بلده او في البلد الذي يجري فيه بحثه . وهكذا فان امكانية المجازفة قد تشبث هم الجميع ، الا من كان ذا اهتمام خاص حقيقي بالموضوع . والمؤلف الذي قام برحلات واسعة في كثير من الاقطار العربية ، ولديه الرغبة في ان يصبح مرجعا أكاديميا في جوانب مختلفة من العالم العربي المعاصر ، لديه هذا الاهتمام ، وهو راض بركوب المفامرة التي قد يؤدي عرضها ومضامينها الى اغضاب انصار الصهيونية ، او العناصر الموالية للعرب ، أو كلا الطرفين . غير ان المؤلف ، عند هذه النقطة ، يود أن يؤكد حقيقة ، وهي ان جميع الكتاب والنقاد العرب ، في الواقع ، وكذلك الرسميون الذين فابلهم في لبنان ومصر ، رحبا ترحيبا حارا وحماسيا باهتمامه بالنزاع العربي - الإسرائيلي ، ولو ان بعض الافراد قد أبدوا ارتياحا عارضا في دوافع بحثه هذا . ولكن لم يكن هناك من يضع أي عائق في طريق المؤلف ، بل على العكس ، كان عرب البلدين ضييين الى أقصى حد ، ومستعدين لبذل كل مساعدة .

البحث الاول في هذه الرسالة بدأ في جامعة ميتشيفان . وفي مكتبتها كثير من المواد والمصادر العربية . الا انه سرعان ما بدأ ان على المؤلف ان يقوم برحلة الى الشرق الاوسط بنية العثور على كمية كافية من المصادر ، واستشارة اكتاب والنقاد العرب في المشروع . ولهذا الغرض اقام في بيروت شهرين من صيف سنة ١٩٦٩ تحديدا للاماكن ، وبحثا عن المصادر الاضافية . وفي الوقت نفسه أجرى مقابلات مع باحثين مختلفين ومؤلفين لأعمال أدبية تتعلق ببحثه . وكلما أمكن كانت الكتب والمجلات المشتتة على هذا الادب المطلوب دراسته ، تشتري من المكتبات ودور النشر البيروتية . وأما بقية المصادر فقد وجدت في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت ، حيث تتوافر مجموعة ممتازة من المجلات الأدبية العربية المعاصرة ، وأعمال الادباء العرب الحديثين . ومن أهم ما استنار به بشكل خاص المقابلات التي أجراها في بيروت مع غسان كنفاني ، أشهر المؤلفين في حقل القصة العربية

كتب المستعرب الأميركي هوارد دوغلاس رولاند (من جامعة ميتشيفان ١٩٧١) رسالة دكتوراه بعنوان « النزاع العربي الإسرائيلي ، كما يتجلى في الادب القصصي العربي » . وقد رأينا ان تترجم فيما يلي أهم أجزاء التمهيد والمقدمة من هذه الرسالة .

- ١ -

من التمهيد :

لما كان النزاع العربي - الإسرائيلي مألوسا أشد الالفة لدى الكثيرين ، من المثقفين وغير المثقفين ، وغالبا ما يكون لهم رأي قوي فيه ، فان المرء قد يظن ان هذا النزاع قد اصبح أرضا موطاة للباحثين الراغبين في إجراء بحوث أكاديمية في مختلف جوانبه واتجاهاته . غير ان العكس أثبت انه هو الصحيح ، ولا سيما في هذا الحقل من الدراسات الأدبية المتعلقة بهذه المشكلة القومية الكبرى . وحينما استقر رأي المؤلف على مشروع البحث والتحليل للنشر العربي القصصي المكتوب في هذا الموضوع منذ عام ١٩٤٨ ، كان يتوقع ان يقع على بعض الاعمال المنشورة في هذا الموضوع ، في العالم العربي طبعاً ان لم يكن في الاقطار الغربية . ولكنه اكتشف انه حتى العالم العربي لم ينتج أبحاثا ودراسات كثيفة في هذا الميدان بشكل خاص . والمؤلف يتذكر جيدا ملاحظات غالي شكري ، الناقد المصري ، الذي قال له في مقابلة في مكتبته في بناية الاهرام ، في القاهرة ، في شهر اكتوبر عام ١٩٦٩ ، بنية الحصول على معلومات اضافية لمشروعه : « أنت تعرف في مشروعك اكثر مما نعرفه نحن . وكان علينا نحن العرب ان نعمل ما تفعله أنت » . وكان سماع هذه الكلمات مفاجأة في الواقع .

الا انه ، عند التأمل ، ليس من العسير معرفة الاسباب في نقص الدراسات الأكاديمية في هذا الميدان المعين . فآولا ، ما تزال معرفة اللغة العربية بشكل كاف مقصورة على عدد قليل جدا من الباحثين الغربيين وغيرهم . وتبعاً لذلك فان المهتمين بهذا الموضوع ، او بالدراسات الأدبية عامة ، لا يبدو انهم يملكون الاداة اللازمة لبلوغ الهدف . وثانيا ، في العالم العربي المعاصر عدد قليل نسبيا من الجامعات ذات التأهيل العالي ، وما تزال ضعيفة الى حد ما في حقل الابحاث الأكاديمية . ونتيجة ذلك انه ، على الرغم من ان هناك كثيرا من العرب الذين قد يكونون على معرفة جيدة بأدبهم المتعلق بالنزاع العربي - الإسرائيلي ، قليلون منهم هم خريجون أو اساتذة في معاهد عيسا

المتعلقة بالقضية الفلسطينية ، وسهيل ادريس ، رئيس تحرير مجلة « الآداب » اللبنانية الطبيعية الشهيرة ، وأحد المدافعين الفعّالين الآن عن الأدب الثوري العربي بجميع أشكاله . وبعد الحصول على أغلب المصادر في بيروت ، ودراستها دراسة باحثة ، انتقل المؤلف الى القاهرة بغيه اكتشاف مصادر مصرية أخرى في هذا الحقل ، وللشروع في الكتابة الفعلية لهذه الرسالة . وقد وجد ان الجامعة الأميركية في القاهرة لديها أكمل مجموعة وأدقها تنظيمًا وهيئة للاستعمال من المجلات المصرية . وفي القاهرة كذلك اغتنم المؤلف الفرصة لمقابله غالي شكري ، وهو ناقد أدبي معروف وله اهتمام بهذا النوع من الأدب ، وسليمان فياض ، وكان قد برز أخيرا واحداً من أجراء النقاد المصريين وكتاب القصة المهمين .

كان المؤلف يأمل في ابتدائه ان يعرف أمساكن وجود الروايات والإفاصيص والتمثيلات المكتوبة بالعربية والمتعلقة بالنزاع العربي - الإسرائيلي ، وان يشرع في قراءتها . ولكنه سرعان ما بدأ له ان من المستحيل تحقيق هذه المهمة ، لان حجم المصادر ضخم للغاية ، وليس من العملي ولا مما يفيد كثيرا ان يحاول البحث في جميع أسواق الكتب ، وفي أعداد المجلات الأدبية العربية المعاصرة في جميع الأقطار العربية . فتوقف المؤلف عن البحث حين أحس بأنه قد نجح في قراءة كمية كبيرة وهضمتها من المواد التي كانت ، في أنواع ، أكثر كثيرا مما يكفي لتمثيل مجموعة الأدب المكتوب في هذا الموضوع . ولهذا ، وعلى الرغم من أن المؤلف لا يمكنه ان يزعم انه قرأ كل الأعمال القصصية العربية المكتوبة حول مشكلة النزاع العربي - الإسرائيلي ، فإنه ما يزال من رأيه ان المواد التي بحثها وقدمها كانت من الضخامة بحيث تكفي لتجمل من هذه الرسالة عملا موسوعيا في طبيعته ، على الأول ريثما يقوم في المستقبل باحث آخر بتوسيع في أهداف والمصادر التي يرجع إليها .

ولما كانت جميع المصادر الأصلية ، وأغلب المصادر الثانوية المدروسة مكتوبة باللغة العربية ، فقد افتضت كتابة هذه الرسالة ، بحكم الضرورة ، ترجمة الشيء الكثير من العربية الى الانكليزية . وكان هذا حقا من صلب الرسالة ، وكان بطبيعة الحال الهدف المباشر للملحق (ب) الذي يتألف من عدد من الإفاصيص العربية المترجمة الى الانكليزية . وعلى الرغم من ان المؤلف قد بذل كل جهد ممكن لكي يفهم المصادر العربية ويفحصها جيدا ، فقد شعر بأن عليه ان يضع نصب عينيه بشكل رئيسي نقل الاصل العربي الى عبارة انكليزية جيدة ومقروءة . ويصح هذا بشكل خاص في ترجمة أثنس الوصفي والحوار في الأعمال القصصية التي تقتضي أن يعكس الموضوع فيها على القارئ الانكليزي التأثير عينه الذي يعكسه على القارئ العربي . وأما ترجمة النثر السردى والنقد الأدبي ، فقد عولجت بطريقة أكثر حرفية ، لان الجمال والانسياب اللقوي أمران ثانويان في مثل هذه الكتابات . (...)

عندما يعالج المرء موضوعاً مثل النزاع العربي - الإسرائيلي ، هو في غاية الحساسية السياسية ، عليه أن ينتبه انتباها حذرا للالفاظ والتسميات التي يستخدمها في وصف القضايا ، والأشخاص ، والحكومات ، والأوضاع العنصرية ، وما الى ذلك ، والا عرض نفسه لتهمه الانحراف او عدم الدقة . غير ان مستويات الكتابة الانكليزية الجيدة تقتضي ان يتوع المرء في مفرداته ، وفي اختياره للالفاظ ، بحيث يرضي أسلوبه الكتابي حساسيات القارئ . ولهذا ، مثلا ، يشار الى « النزاع العربي - الإسرائيلي » أحيانا بعبارة من مثل « القضية الفلسطينية » او « المشكلة الفلسطينية » او « الازمة العربية - الإسرائيلية » او « الكفاح العربي - الصهيوني » الخ ، وكلها تعني الشيء نفسه تماما ، ولو ان الغربيين عامة يستعملون عبارة « النزاع العربي - الإسرائيلي » ، بينما يعبر عنها العرب بعبارة « القضية الفلسطينية » او « المشكلة الفلسطينية » . وكلمة « فلسطين »

تعني فلسطين كما كانت معروفة قبل عام ١٩٤٨ ، او فلسطين الجغرافية (التي تشمل اليوم دونه اسرائيل ، والنصفه الغربية) (١) وقد بذل كل جهد ممكن للإشارة الى اسرائيل باسمها عند التخصيص . غير أن القارئ سيوافق على أن « فلسطين » هي الكلمة الوحيدة التي يمكن استعمالها ، مثلا ، عندما يناقش المرء حينئذ الأجزاء العربي للعودة الى وضعه . أما بالنسبة الى الكلمات (اسرائيلي - يهودي - صهيوني) فان هذه المفردات ، كما يستعملها الكتاب العرب في الأعمال الأدبية المدروسة هنا ، لها عموما مترادفات ذات معنى واحد . غير ان المؤلف يجنب استعمال نطقه (اسرائيلي) بمعنى (يهودي) او (صهيوني) نظيرة اسي سميت عام ١٩٤٨ ، لان اسرائيل لم تكن موجودة آنذاك كدولة . والمؤلف ، بشكل عام ، يؤمن ان يستعمل كلمة (صهيوني) او (اسرائيلي) لليهودي ، أو لليهودية ، لان المفهتين السابقتين أدل على تحديد اليهود المعصودين ، ولا تشملان اليهود الكثيرين خارج اسرائيل الذين لا يعرفون دورا في المشاركة المباشرة في النزاع ، وكذلك ليس لهم دور ، او كان لهم دور ضئيل في هذه الرسالة . ومرة ثانية ، قد يكون من المهم ان أسير الى ان الكتاب اعرب يفضلون استعمال لفظه (صهيوني) و (اسرائيلي) لان (الصهيوني) يعني ذا العقيدة القومية من اليهود ، و (الاسرائيلي) يعني المواطن اليهودي في اسرائيل ، بينما تعني لفظه (اليهودي) او (اليهودية) ، المؤمن بأنديانة يهودية ، وقد لا يكون هذا صهيونيا ولا اسرائيليا .

ان عددا من الشخصا والمؤسسات قدموا مساعدات للمؤلف في جهوده الرامية الى اتمام هذه الرسالة ، وهو يود أن يفتنم هذه الفرصة ليؤدي لبعضهم واجب الشكر ، معربا عن أسفه في الوقت نفسه لان المجال لا يسمح بتقديم العرفان لتجميع . وفي المكان الأول هنالك أعضاء لجنة الرسالة : الدكتور لي غاسيك ، رموني ، بيلامي ، مالك كاروس ، وفيلهايم ، الذين جادوا بوقتهم وارشادهم ومشورتهم وتشجيعهم . ولقد قدم رئيس اللجنة الدكتور لي غاسيك خاصصة معونته الثمينة في مساعدة المؤلف على تنسيق المشروع برمته ، واجازة أسلوبه الكتابي . والمؤلف مدين كذلك بالشكر لمركز دراسات الشرق الاوسط والشمال الافريقي في جامعة ميتشيفان ، الذي يرأسه الدكتور وليام سكورجر ، وكذلك لمركز الأبحاث الأميركي في مصر ، لتوفيره المنح اللازمة للقيام بهذه الأبحاث في بيروت والقاهرة . وهو كذلك يود ان يشكر المؤلفين والنقاد العرب متعددين ، من امثال : (حليم بركات ، غسان كنفاني ، سهيل ادريس ، عيسى الناعوري ، غالي شكري ، سليمان فياض) وغيرهم لاهتمامهم بعمله ، وتزويدهم اياه بالمعلومات المفيدة ، ولتفاد بصيرتهم في نظرتهم الى طبيعة النزاع الكبير الذي كتبوا فيه بغزارة ووفرة .

- ٢ -

من المقدمة :

ان النزاع العربي - الإسرائيلي لهو من المشاكل العالمية المعاصرة الشائكة جدا ، وما تزال تتحدى جهود العديد من زعماء الدول ، والمفكرين ، والخبراء في الشؤون الدولية الذين حاولوا حلها . الا ان الكثير من وجوه المشكلة قد نال دراسة جيدة ، وتزايد أعداد الدراسات والأبحاث الأكاديمية المتعلقة بها تزايدا مطردا بتزايد الناس الذين أخذوا يدركون ، في جميع الأقطار ، أهمية هذا النزاع ، لا بالنسبة الى العرب والى الإسرائيليين أنفسهم فحسب ، بل بالنسبة الى الأطراف الثالثة كذلك ، التي إما أن تكون معنية ومتورطة بها ، وإما انها قد تتأثر بها بشكل ما .

ان أولئك الذين يعيشون منا في أوروبا ، وفي نصف الكرة

(١) سها المؤلف عن ذكر قطاع غزة كذلك (ع . ن .) .

٢ - كيف يصور الكتاب العرب المواجهات العسكرية الرئيسية في الازمة العربية الاسرائيلية بالنظر الى العالم العربي ؟

المواجهات العسكرية الرئيسية في هذه الازمة تعني هنا الصدمات العسكرية ، او الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ ، وحرب سيناء عام ١٩٥٦ ، وحرب حزيران عام ١٩٦٧ .

وفيما يتعلق بالصدمات المسلحة الثلاثة بين العرب والاسرائيليين يبحث المؤلف عن جواب لهذا السؤال : في رأي مؤلف الكتاب العرب (ضمنا او تصريحا) لماذا خسر العرب كل هذه المواجهات العسكرية الثلاث ؟ وكم من اللوم يقع على العرب أنفسهم ، وكم من مسؤولية هزيمتهم يعود الى تفوق الجيش الاسرائيلي ، او الى الدعم الاقتصادي والعسكري الذي تقدمه قوى اجنبية الى الاسرائيليين ؟

في قضية الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ ، يدعي العرب ، ويتمثلون على اسباب الهزيمة ، بفساد وضعهم الذين اما انهم كانوا يستفيدون من بيع الاسلحة الفاسدة الى جيوشهم (١) ، واما انهم سلموا قيادة جيوشهم الى ايد غير مخصصة للعرب (مثل غلوب باشا ، الذي كان قائدا للجيش العربي الاردني) (٢) . وهناك سبب آخر كثيرا ما يرد ، وهو النقص العام في السلاح والذخيرة لسدى العرب (٣) . فما حجم الدور الذي تلعبه هذه العوامل في الادب القصصي والروائي الذي يعالج أحداث عام ١٩٤٨ ؟

والذين يعرفون وجهة نظر العرب حول حرب سيناء عام ١٩٥٦ بين الاسرائيليين والمصريين ، يعلمون ان الكثيرين من العرب يرون انسه لم تجر مجابهة عسكرية شاملة تامة ، في الواقع ، بين الجيشين الاسرائيلي والمصري . فهم يزعمون ان المصريين ، قبل التقدم الاسرائيلي في سيناء ، راوا من الضروري ان ينسحبوا غربا الى منطقة قنساك السويس ، لكي يتمكنوا من مجابهة التهديد السوداني البريطاني - الفرنسي (٤) . والمسألة الواضحة جدا التي تعيننا هنا ، اذن ، ه التي تثير السؤال التالي : هل يتخذ الكتاب موقفا من قضية هزيمة سيناء عام ١٩٥٦ ، أم تراهم يفسرونها كما يطيب لهم ؟ واذا كانوا يعالجونها ، او يشيرون اليها ، فكيف يفعلون ذلك ؟

وحرب حزيران عام ١٩٦٧ ، كانت حربا لا يمكن ان يستهين بها احد . والواقع ان العالم بأسره ، عن طريق وسائله المتقدمة في نقل الاخبار ، كان وثيق الاتصال بكل خطوة من التقدم العسكري الاسرائيلي ، وكل خطوة من التقهقر العربي . وفيما يتعلق بالعرب كان ذلك رجسة ساحقة ، كما كان كارثة قومية جماعية اصابت منطقة جديدة برمتها ، واستوجبت اعادة تنظيم الاوليات على جميع مستويات الحياة في المجتمع العربي . فكيف يعرض المؤلفون العرب سير هذه الحرب ، وكيف يفسرون خسارتهم السريعة لها عسكريا ؟ ان الذين تتعوا حرب حزيران عن كذب ، يذكرون ان بعض الزعماء العرب قد ادعوا في البداية (ثم تراجعوا عن ذلك الادعاء فيما بعد) ان تدخل اجنبيا على نطاق واسع قد امان الاسرائيليين على الانتصار في الحرب . فهل يؤسد المؤلفون العرب هذه النظرية ، أم انهم يتجاهلونها ، او حتى

العربي عامة ، هم اكثر معرفة بوجهة النظر الاسرائيلية بالنسبة الى المواجهة العربية - الاسرائيلية . ويعود هذا الى عوامل متعددة ، لن يحاول المؤلف تحليلها في هذه الرسالة . الا ان احد هذه العوامل هو ان الادب القصصي والروائي الصهيوني ، او الموالي للصهيونية ، قد نال انتشارا واسعا بين قراء اللغات القريبة ، وكان له تاثيره في تكوين اتجاهاتهم وآرائهم حول الصدام بين العرب والاسرائيليين . واحد الامثلة المعروفة جدا من الاعمال الروائية الموالية للصهيونية رواية (الخروج - EXODIS) لليون يوريس ، التي تركز على قاعدة من فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية في فلسطين ، التي ادت الى قيام دولة اسرائيل .

ومن جهة اخرى كانت وجهة نظر العرب تصل الى العالم العربي بشكل باهت جدا ، ولم تنل فيه الا انتشارا ضئيلا . وفي الادب القصصي والروائي ، ليس للعرب ما يصل الى مستوى (الخروج) المؤيدة للصهيونية . اي انه ليس ثمة رواية ناجحة تهشل وجهة نظر العرب في الازمة العربية - الاسرائيلية ، تستطيع ان تجد لها رواجا بين القراء القريبين . غير ان الادب النثري العربي في موضوع النزاع العربي - الاسرائيلي موجود ، ولكن لم ينشر منه في الواقع شيء في اية لغة غربية .

ويود مؤلف هذه الرسالة ان يقدم لقراء اللغة الانكليزية تحليلا للادب القصصي والروائي العربي الساذي يركز على قاعدة من النزاع العربي - الاسرائيلي . وحسبما يعلم المؤلف ، لم تجر قط اية محاولة لمثل هذه المهمة على نطاق واسع ، حتى من قبل العرب انفسهم . والمؤلف يهدف بالتحديد الى تقديم الاعمال المتوافرة من النثر القصصي والروائي والتشليلي المكتوب باللغة العربية خلال الفترة الواقعة ما بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٩ ، ومناقشته . وهو يأمل ان تساعد هذه الرسالة - وهي نتيجة بحث هذا الادب - على سد الثغرة ، سواء في البحوث الاكاديمية ، ام في المعرفة العامة المتعلقة بوجهة نظر العرب ، واستشراف الحقيقة التي ينظرون بها الى مواجهتهم مع اسرائيل ، كما يصورها كتابهم .

اما السؤال المحدد الذي يحاول هذا العمل الاجابة عنه ، فانه ذو صلة بعوامل الاهتمام العامة التالية :

- ١ - ما هي الاعمال المكتوبة ؟
- ٢ - كيف يصور الكتاب العرب المواجهات العسكرية الرئيسية في النزاع العربي - الاسرائيلي ؟
- ٣ - كيف جاءت صورة العرب عموما على اقلام الكتاب من اصحاب هذا اللون من الادب ؟
- ٤ - كيف جاءت صورة اليهود ؟
- ٥ - كيف ينظر الكتاب العرب الى اللاجئيين ؟
- ٦ - ما هي الاهمية التي يعلقها الكتاب العرب على حركة الفدائيين العرب التي برزت اخيرا ؟
- ٧ - كيف يقيمون هذا الادب : من حيث نوعيته العامة ، وتطوره ، واهميته ؟

هذه الاسئلة العامة تتسحب كما يلي :

١ - ما هي الاعمال المكتوبة ؟

تعني هذه الرسالة بالاعمال النثرية القصصية العربية التي تنقسم ، لفايات هذا البحث ، الى ثلاث فئات : روايات ، افايص ، وتمثليات . فما هي الروايات والافايص والتمثليات ذات الطابع الخاص التي كتبت ؟ ما هو مضمونها ؟ وكيف تبدو حيكنتها ؟

- (١) جلال يحيى : « المسالم العربي الحديث » ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٢٨٦ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ . (وهذا كتاب تاريخ حديث للشرق الاوسط ، كتبه مؤرخ مصري معروف ، ولذلك يمكن اعتباره ، منطقيا ، ممشلا لوجهة نظر المفكرين العرب فيما يتعلق بالمشكلة العربية - الاسرائيلية) .
- (٢) المصدر السابق ، ص ٢٩٢ ، ٣٢٢ .
- (٣) المصدر السابق ، ص ٢٧٢ ، ٣٢٣ ، ٣٣٩ ، ٤٥٥ .
- (٤) المصدر السابق ، ص ٦٠٤ ، ٦٠٥ .

من الطبيعي ان أي نوع من أدب الحرب أو « النزاع » لن يكون لطيفا مع الإعداء ، ولا سيما متى كان العدو في واقع الحياة مستمرا في انتصاراته . ولهذا لا بد للمرء ان يتوقع ان يكون تعرض الأدب العربي لليهود الصهيونيين ، الاسرائيليين منهم وغيرهم على السواء ، غير خارج عن هذه القاعدة . ومع ذلك كان مؤلف هذه الرسالة شديد الرغبة في أن يعرف بأية طريقة يصور العرب اليهود تصويرا سليما ، لان معرفة ذلك ستساعد ، دون ريب ، على فهم النزاع في مجمله .

فمثلا ، ما دام الواقع ان الاسرائيليين كانوا ، وما زالوا ، أعداء للعرب في الحرب ، فإلى أي مدى يراهم العرب (مثلما ترى أمة أعداءها) قساة في مجموعهم ومتوحشين ، وإلى أي مدى يصورونهم في صورة البشر ؟ وما هي الزايا السلبية التي يتعنون بها طيبة الصهيونيين ؟ وهل يظنون ان لليهود الصهيونيين مزايا ايجابية تستحق الإعجاب ، واليها يعزى الفضل في انتصاراتهم في النزاع العربي - الاسرائيلي ؟

كثيرا ما يصرح العرب بانهم يميزون تمييزا كبيرا ، في شعورهم وتصرفاتهم ، بين اليهود الصهيونيين الذين يدعمون اسرائيل ويناصرونها ، واليهود غير الصهيونيين الذين لا يشعرون بالولاء ولا بالعرف نحو اسرائيل . ووفقا لهذا الخط في التفكير ، ليس لدى العرب أي شعور سيء نحو اليهود غير الصهيونيين . فهل تؤيد أعمال الأدياء العرب هذه الفكرة ؟ وهل تعطي أعمالهم عن هؤلاء اليهود غير الصهيونيين صورة حسنة الى حد ما ؟

٥ - كيف يصور الكتاب العرب اللاجئيين ؟

من المتوقع ان يلعب موضوع العدد الكبير جدا من اللاجئيين الفلسطينيين وخروجهم من أرضهم دورا رئيسيا في الأدب العربي المتعلق بالنزاع القومي مع اسرائيل . فهناك وجوه متعددة واضحة للاهتمام بنظرة الكتاب العرب الى اللاجئيين وتصويرهم لهم . اول هذه الوجوه هو : كيف يصورون الحياة في مخيمات اللاجئيين ؟ وما دام من المفروض انهم لن يصوروها صورة مرضية ، فما هي الوجوه المحددة من حياة المخيمات التي تتميز بكونها أدل على شقائهم ؟ وإلى أي مدى يظهرون في صورة اناس عاجزين محشورين في مخيم لا أمل فيه في المستقبل ؟ وإلى أي حد يبرزون في صورة اناس قادرين على الاستفادة من ظروفهم السيئة ؟ ومن هم الناس ، أو المؤسسات ، الذين يمكن نعتهم بأنهم أهداف لنقمة اللاجئيين وامتصاصهم ، الى جانب يهود اسرائيل ؟

هنالك مشكلتان محددتان لهما علاقة بكون اللاجئيين لاجئيين : الاولى ذات صلة بسبب نزوح اللاجئيين عن فلسطين تاركين خلفهم بيوتهم ، وأملهم ، ووطنهم . ان الطرفين المتعادين يعطيان ، على العموم ، أسبابا متناقضة لنزوح اللاجئيين : فالاسرائيليون يزعمون ان النزوح عن العرب في ذلك الحين قد أرغموا العرب الفلسطينيين على النزوح عن منطقة القتال ، لكي يعودوا بعدئذ مع الجيوش الظافرة . أما العرب فيقولون ان الصهانية قد طردوهم من منازلهم ، وأخرجوهم من فلسطين أو أرهبوهم في أثناء خروجهم (1) . فما هي الأسباب التي وردت في الأدب العربي حول أسباب نزوحهم ؟ تراهم حاربوا كما كان يمكنهم ان يحاربوا للدفاع عن أنفسهم ضد الصهانية ؟ وهل يشعر الكتاب العرب ، أيما شعور ، بالخجل من نزوح اللاجئيين ؟ وهل يصورون اللاجئيين في صورة من يخجلون من أنفسهم لانهم لم يقاتلوا العدو حتى « الموت الشريف » في ميدان القتال ؟ وفي رأي كتاب القصة

(١) ارسكين تشايلدز : « الخروج الآخر » (نيويورك ، منشورات باتنام - ١٩٦٩ ، ص ١٤٤ - ١٤٥) .

٣ - ما هي صورة العرب عموما لدى كتاب هذا اللون من الأدب العربي ؟

هذه ، في الواقع ، قضية شاملة ، لان أغلبية الاشخاص في الأدب العربي المتعلق بالنزاع هم ، بحكم الضرورة ، عرب . الا ان المسألة قد وضعت بهذا الشكل لاهميتها في المقارنة بين صورة العرب وصورة الصهيونيين الإعداء .

ان كل أمة لها نوع من أدب الحرب الذي يمجّد أبطالها الحربيين ، عادة ، غير ان الفضائل المجددة في الاشخاص المختلفين في مثل هذا الأدب قد تختلف بعض الاختلاف ، تبعاً للزايا والفضائل التي تمجدها عادة الفئة الوطنية التي تكتب فيها . أما فيما يتعلق بالأدب العربي ذي الصلة بالنزاع العربي - الاسرائيلي ، فما هي الزايا التي تستحق التمجيد في الاشخاص أكثر من سواها ؟ وبكلمة أخرى ، هل جميع الجنود العرب بوسائل ويتعنون الردى ؟ أم هل ثمة اعتراف بان بعض الجنود العرب (كجنود أمة من الأمم) سيفقدون أعصابهم عندما يصدفون باحتمال إبادتهم ؟ (في كل شريط حربي اميركي او رواية هربية ، تقريبا ، تعالج قضية الجبن في المعركة ، وكثيرا ما يكون ذلك بكثير من العطف) . وأية مزايا انسانية أخرى ، ايجابية او سلبية ، ما عدا قضية الشجاعة والجبن ، يرى العرب في أنفسهم حين يكونون في ساحة القتال ؟

ليس بي حاجة الى القول ان علينا ان نتطلع الى اكتشاف أهم الزايا الماثلة في الاشخاص الرئيسيين خارجا عن ميدان القتال . وعلى العموم ، هل هم نماذج مثالية أم هم في صورة مخلوقات آدمية عادية ، ولهم مقدار عادي من الزايا ؟ وربما كان من الأهم ان نتساءل الى أي مدى يحلل العرب ما فيهم من ضعف ، لكي يساعدنا هذا على تفسير هزيمتهم ؟

ان المثقفين العرب يهتمون اهتماما كبيرا ، في الغالب ، بتغيير وضع المرأة العربية وتحسينه . ولعلم المؤلف بهذا ، يتطلع السى ان يعرف ان كان كتاب القصة العرب يعالجون - وإلى أي حد ؟ - مشكلة تحرير المرأة مساواتها بالرجل في هذا النوع من الأدب ؟ هل يكتفون بالتأكيد على فضائل المرأة العربية التقليدية ، كالعفة والحشمة - وهما من بقايا حياة العزلة عن الرجل - ، أم تراهم يهتمون بتصوير المرأة العربية مخلوقا آدميا متطورا (أو لا بد من تطوره) لكي تساعد الرجل في الكفاح المشترك ؟ هذه الاسئلة ، في الواقع ، تنطبق بشكل خاص على النساء الكاتبات العربيات ، وعددهن غير قليل ، اللاتي يكتبن في موضوع النزاع مع اسرائيل .

ان كل من يزور البلاد العربية مدة طويلة ، وعلى الاخص كل من يقرأ الصحافة العربية بشيء من الانتظام ، يعلم ان للعرب وعييا حادقا ، بل ربما مفرطا ، لآثر الخونة والجوايسيس بينهم . وسيكون لذلك من المهم ان أذكر كيف يعالج (الخونة) في هذا الأدب ، وما هي الدوافع الى خيانتهم .

ومما يتصل بهذه الفكرة اتصالا وثيقا ، قضية مدى اعتبار كتاب القصة العربية لحكوماتهم - في الحاضر والماضي على السواء - حكومات خائنة ، أم معادية ، أم لا مبالية للمطامح الوطنية للشعوب العربية فيما يتعلق باسترداد فلسطين . من هم مشاهير العرب الذين يرون فيهم « أعداء للشعب » ، مثلا ؟ ان الاجابات على هذا يمكن ان تبين لنا الى أي حد كان الأدب العربي المتعلق بالنزاع مع الصهيونية « ضد الدولة » و « ثوريا » ، وهدفه المجتمعات العربية والحكومات .

وأما نظرة الكتاب العرب الى اللاجئيين العرب في دورهم كلاجئيين ، فسنعالجها في فصل خاص . ولهذا فان السؤال الذي سيطرح حول طبيعة اللاجئيين وعملهم ، سيعالج منفردا فيما بعد .

عديدة معددة ، سيؤلف هيكل هذه الرسالة .

ولقد اختار المؤلف ، كما بيّن من قبل ، ان يبحث في الصيغ الثلاث الرئيسية للنثر القصصي العربي في موضوع الازمة العربية الاسرائيلية ، وهي : الروايات ، الاقاصيص ، والتمثيلات ، ولا بد من الاعتراف بأن النثر القصصي ليس ، في العادة ، الوسيلة الاكثر شيوعا التي يعبر بها العرب عن انكارهم وآرائهم . فلقد كان الشعر ، وما يزال ، الوسيلة الرئيسية في الادب العربي منذ اقدم الازمنة . وفي القرن العشرين فقط شرع أعرب ، في الواقع ، يطوّر قابليتهم بكتابة الروايات ، والقصص القصيرة ، والتمثيلات . وكان الشعر - ولعله ما يزال يلعب الدور الاكبر في الادب العربي - أفضل طريقه معروفة كذلك يسكب الادباء العرب في صيغتها الادبية مشارعهم حول المشكلة الفلسطينية . وتكاد جميع المجلات الادبية العربية التي تصدر في البلدان العربية المجاورة لاسرائيل تنشر في كثير من الاحيان ما يدعى بـ « شعر المقاومة » ، الذي يعني الشعر المنظوم في موضوع الازمة العربية - الاسرائيلية . ومن أشهر الشعراء المعاصرين في هذا اللون من الشعر ، محمود درويش ، وهو عربي فلسطيني يعيش في اسرائيل (٢) . وقد كتب غسان كنفاني في كتابه « ادب المقاومة في فلسطين المحتلة : ١٩٤٨ - ١٩٦٦ » باسهاب عن العرب الفلسطينيين في اسرائيل ، من أمثال محمود درويش ، الذين عبروا في شعرهم عن روح المقاومة العربية للقوانين الاسرائيلية .

ومع انه لا يمكن لاحد ان يتجاهل أهمية الشعر في الادب العربي المتعلق بالازمة مع اسرائيل ، او في أي موضوع آخر ، فان هذه الدراسة لن تتعرض له ، لسببين أساسيين : (١) ان كمية الشعر في المشكلة الفلسطينية من الضخامة بحيث تكفي مادتها لرسالة ، أو أكثر من رسالة واحدة جامعية . (٢) ان المؤلف يعوزه الاحساس الحديسي في اللغة العربية ، والمعرفة الخيرة في الشعر العربي ، وهما ضروريان لثل هذه المهمة .

ولكن ، على الرغم من حداثة العهد ببدايات انثر القصصي نسيبا ، فانه ماض بسرعة شديدة في اكتساب شعبية كبيرة في عالم الادب العربي ، بفضل نفوذ الآداب الغربية وتأثيرها على الكتاب العرب ، وبفضل اتساع نطاق الثقافة في العالم العربي معا . والنثر الادبي القصصي يقدم أيضا الى الجمهور العربي ، عن طريق الافلام السينمائية ، والتلفزيون ، مثلا ، مما يفيد في رفع مستوى الاهتمام بهذه الصيغة الادبية .

.....

(تلي هذا نحو ثلاث صفحات في سرد المصادر التي استقرأها المؤلف للحصول على المادة التي درسها لرسالته ، والتي تتألف من: ١٢ رواية ، ١٦٦ أقصوصة ، و ٩ تمثيلات . وهذه المصادر هي مجلات عربية تصدر في أقطار عربية مختلفة ، ولكن أهمها على الاطلاق مجلتي (الآداب - والاديب) في لبنان ، الى جانب المجموعات القصصية ، وكتب الروايات التي اجتمعت له . وليس من غرضنا هنا أن نترجم هذا السرد لقلّة أهميته بالنسبة الى القارئ العربي) .

ترجمة عيسى الناعوري

(٢) كان ذلك قبل أن يضع هوارد رولاند رسالته هذه ، واما الان فمحمود درويش يعيش في البلدان العربية ، بعد ان غادر اسرائيل منذ عام ١٩٧١ (ع . ن .) .

والرواية العرب ، هل كان في استطاعتهم ان يقاتلوا حقا ؟

اما المشكلة الثانية فهي التي تتعلق بهوية اللاجئين ، ومدى اندماجهم في بيئاتهم الجديدة . فعلى الرغم من ان اللبنانيين ، والسوريين ، والاردنيين ، والعراقيين ، والمصريين شعوب عربية كالفلسطينيين ، يظل الواقع ان هؤلاء الفلسطينيين لم يندمجوا في بيئات « شقيقتهم من الاقطار العربية » . وفي أعمال الكتاب العرب الى اي مدى يبرز للاجئين الفلسطينيين « اجانب يعيشون في الغربة » في البلدان العربية الاخرى ؟ وهل يظهر للاجئين في صورة تجعلهم لاجئين ، منزلة أغلبهم في مخيمات ، واما بعدم القيام بأي جهد كاف لتدمير دولة اسرائيل لتمكينهم من العودة بحرية الى بيوتهم ؟

٦ - ما هي الاهمية التي يعلقها الكتاب العرب على حركة الفدائيين العرب التي برزت حديثا ؟

بعد الهزائم العسكرية الثلاث على أيدي الاسرائيليين : ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ، أخذ العرب يرون أملهم في حركة الفدائيين العرب التي برزت من جديد ، وراحوا يشبهونهم بجماعة فيدل كاسترو ، وتشي غيفارا ، وهوتشي منه ، ومساوتسي تونغ ، وقادة الثورة الجزائرية . وخلال السنتين الماضيتين ، او السنوات الثلاث (١) ، عمدت الصحف والمجلات العربية الى منح بذور الفدائيين وتدريبهم من أجل النصر تغطية واسعة ، وكثيفة .

والذي يحل الادب القصصي العربي الذي يتعلق بالنزاع ، يجد امامه مسألة واضحة ، وهي ما اذا كان الكتاب العرب قد ركزوا (والى أي حد) على حركة الفدائيين العرب كمادة لرواياتهم واقاصيصهم وتمثيلاتهم . وزيادة على هذا ، من الطبيعي ان يتوق المرء الى ان يكشف كيف صوروا الفدائيين باعتبارهم بشرا ومحاربين ، ولماذا اصبحوا فدائيين .

٧ - كيف يقيّم هذا الادب ، من حيث نوعيته العامة ، وتطوره ، وأهميته ؟

وفيما يتعلق بتطور هذا الفرع من الادب العربي خلال الاعوام العشرين الاخيرة ، متى تمت كتابة هذا الادب ، ولم كانت الكمية المكتوبة منه ، وفي أية فترة كتبت ، ولماذا ؟ واما من حيث النوعية الادبية ، فكيف تغيرت وتطورت - ان كانت قد تطورت - اسلوبا ، وتناولا ، منذ بداية فترة الاعوام العشرين ؟

بعد البحث في خصائص طبيعة الادب القصصي والروائي المتعلق بالنزاع مع اسرائيل ، يضطر المرء الى ان يتساءل : ما فضل هذا الفرع من الادب اذا ما قيس بالادب العربي القصصي والروائي بمجموعه ؟

كيف يقيّم النقاد العرب هذا اللون من الادب العربي ؟ هل يعتبرون ان الادب العربي المتعلق بنزاعهم القومي مساو لمستوى الادب القصصي والروائي العربي عامة ، سواء في النوع الكتابي ام من حيث كمية الاعمال المنتجة ؟ وهل يقارنون بين الادب القصصي العربي المتعلق بالمشكلة العربية - الاسرائيلية ، وأنواع الادب القصصي الاجنبي التي تعالج حركات نضال ومقاومة قومية مشابهة له ؟ وما هي ، عندهم ، أسباب الوفرة أو النقص في الاعمال الادبية الجيدة التي تعالج النزاع ؟ وهل يشعرون بأن أدبهم قد أحاط بأفاق المشكلة احاطة عادلة ؟ ان الاجابات عن هذه الاسئلة العامة ، وما يتفرع عنها من أسئلة

(١) كتب المؤلف هذه الرسالة عام ١٩٦٩ .